

و [صعلوك صفيحة وجهه *** كضوء شهاب القابس المتنور

وقد روى الاخفش عن ثعلب عن ابن الاعرابي قال: حدثني أبو فقعه قال: كان عروة بن الورد اذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض والكبير والضعيف، وكان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدة، ثم يحفر لهم الاسراب، ويكنف عليهم الكنف، ويكسيهم، ومن قوى منهم - اما مريض يبرأ من مرضه أو ضعيف تئوب قوته - خرج، به معه فأغار، وجعل لاصحابه الباقيين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس وألینوا وذهبت السنة ألحق كل انسان بأهله، وقسم له نصيبه من غنيمة ان كانوا غنموها، وربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، وضائق حال عروة في بعض السنين فقال:

لعل ارتيادی في البلاد وبغيتی *** وشدی حيازيم المطية بالرحل

سیدفعنی يوماً إلى رب هجمة (1) *** يدافع عنها بالعقوق وبالبلخ

فزعموا أن [قيص له في شتاء شديد ناقتين دهماوين، فنحر لعشيرته احداهما، وحمل متاعهم وضعفاءهم على الاخرى، وجعل يتنقل بهم من مكان إلى مكان، إلى أن نزل بهم بموضع يقال له ماوان، فقيض [له رجلا صاحب مائة من الابل، قد فر بها من حقوق قومه، وذلك أول ما ألین الناس، فقتله وأخذ ابله وامراته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالابل أصحاب الكنيف فحلبها لهم، وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم، وأخذ مثل نصيب أحدهم.

وانه لجميل من عروة أن يعنى بالمريض والكبير والضعيف، وأن يسعى لهم فيما يقوم بحاجاتهم، ولكنه لا يحمد له أن يكون سعيه لهم بالتلصص والسطو على أموال الناس، فمثل هذا هو الذي أضعف أمر العرب قبل الإسلام، ونشر الجوع

(1) الهجمة: المائة من الابل.